ندمت على العمل مع مخرج ومنتج قليلي الخبرة

مها أحمد: فيلم «عبده مواسم» غلطة في حياتي الفنية

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمد عاطف:

أعربت الفنانة الكوميدية مها أحمد عن غضبها الشديد من فيلمها الأخير «عبده مواسم» الذي توقعت أن يكون انطلاقة فنية كبيرة لها، ولكنه جاء مخيبا لآمالها وطموحاتها الفنية.

قالت مها أحمد: فيلم «عبده مواسم» أعتبره غلطة في حياتي، وأشعر بالندم لتعاملي مع مخرج جديد وشركة انتاج جديدة، خاصة أنني سبق تعاملي مع مخرجين كبار وشركات انتاج لها خبرة تضيف للفنان، واكتشفت بعد أن وقعت على العقد أن المخرج شريك بنسبة كبيرة في الانتاج.

■ وما الضرر في ذلك؟ قالت مها: فوجئت بحذف مشاهد كثيرة من السيناريو، وعندما كنت أحاول عمل «افيه» معين للاضحاك كان المخرج يثور ويرفض ذلك، وهو شيء جديد عليّ لأنني تعاملت مع مخرجين كبار كانوا يساندوني عندما أضيف شيئا للحوار بعد نقاش بيننا في هدوء وبلا أي مشاكل.

■ بعد بطولتك لفيلم «لخمة راس» الصيف الماضي لماذا لم تواصلي البطولات ووافقتي على «عبده مواسم»؟

■ فعلا بعد فيلم «لخمة راس» حذرني المنتج أحمد السبكي من المشاركة في أي فيلم دون أن يضيف لي وطلب مني التركيز في اختياراتي، الى أن اتصل بي زميلي الفنان محمد لطفي وطلبني للوقوف معه في أول بطولة له بالسينما، وأرسل لي السيناريو فقرأته ووجدت دور «ليلى دايت» جيدا، وأعجبني بالفعل، لكن ما كان موجودا على الورق تغير كله أثناء التصوير، وكما ذكرت هذا الفيلم أعتبره غلطة عمري.

■ هل السبب في ذلك بطل الفيلم؟

■ بالعكس محمد لطفي فنان جميل، ولذلك وقفت بجانبه في أول بطولة مطلقة له، وهو أيضا تعرض لظلم أكبر مني.

■ تردد أنك غضبتي من أفيشات الفيلم؟

■ هذا صحيح، فقد فوجئت بالأفيشات واتصلت بالمنتج فحاول ارضائي وقام بتغيير نصفها وللأسف الأفيشات فقيرة وغير مكلفة وعرفت مؤخرا أن من قام بتصميمها مهندس غرافيك جديد في هذا المجال، أي اننا كنا في حقل تجارب.

■ لكنك قدمت دويتو غنائي اعجب الجمهور مع محمد لطفي؟

■ علقت قائلة: هذا محاولة لارضائي، وللأسف لعدم خبرة القائمين على الفيلم عرضت الأغنية بعد نزوله دور السينما والمفروض حدوث العكس، وواضح انني تعجلت في قبول هذا الفيلم.

■ لماذا تكررين الغناء في الأفلام هل هي هواية خاصة عندك، قالت مها: أحب تجسيد كل ما يخدم الشخصية التي أؤديها على الشاشة والذي لا يعلمه أحد أن ملحنا مشهورا عرض عليّ عمل ألبوم غنائي يتضمن أكثر من لون غنائي ذات شكل وايقاع مختلفين لكنني رفضت، وأيضا عرض عليّ تقديم أغنية مع فريق «سبايسي بيبي» للأطفال ورفضت أيضا، لأنني ممثلة ولن أكون غير ذلك.

■ هل وزنك يحدد أدوارك؟

■ لا أختار ما يتوافق مع وزني لأنني أسعى للدور الجيد ولو طلب مني تخفيض وزني لثلاثين كيلو غراما وسبق لي أن أنزلت 15 كغم من وزني بسبب ثلاثة مشاهد فقط بفيلم «حائط البطولات».

مها أحمد

اخبار فنية

تظاهرة سينمائية في تونس للتّعريف بتطوّر السينما الإيرانية

■ تونس ـ يو بي أي: تنظّم اللّجنة الثّقافية الوطنية التونسية بعد غد الأربعاء تظاهرة للتعريف بمدى تطوّر السينما الإيرانية على مستوى المضامين والجماليات تحت اسم «أسبوع الفيلم الإيراني» بالتّعاون مع سفارة إيران لدى تونس.

وقالت اللّجنة الثّقافية الوطنية التونسية اليوم الاثنين أن هذه التظاهرة التي ستنظّم تحت إشراف وزارة الثقافة والمحافظة على التراث التونسية، تندرج في إطار التبادل الثقافي بين تونس وإيران.

وأوضحت أن فعاليات هذه التّظاهرة ستتواصل لغاية الثالث عشر من الشهر الجاري، حيث سيتم خلالها عرض مختارات من الأفلام السينمائية الإيرانية النّاطقة باللغة الفارسية ومترجمة إلى العربية أو الفرنسية التي تعكس خصوصيات ومميّزات المجتمع الإيراني .

وسيكون افتتاح هذه التّظاهرة السينمائية بالفيلم الوثائقي «الأرض المعطاء»، بينما اختير لسهرة الختام الفيلم الاجتماعي «ليلة يلدا» الناطق بالعربية والفارسيّة الذي يسلط الضوء على مسألة الثّقة والحب بين الأزواج من خلال استغلال زوجة لحب زوجها وثقته بها لكي تتركه لتتزوج بآخر.

وسيتمّ خلال هذه التّظاهرة عرض أفلام طويلة أخرى منها «ابن مريم» للمخرج حميد جبلي الذي شارك في عدة مهرجانات سينمائية عالمية وحاز على الجائزة الأولى لأحسن فيلم في المهرجان الدولي لسينما الأطفال بمصر، و«صفحة بدون خط» للمخرج ناصر تقواني، وفيلم «كمال الملك» للمخرج علي حاتمي.

كما سيتم عرض فيلم «سام ونرجس» للمخرج أبرج قادري، الذي تدور أحداثه حول قصّة حب تنشأ بين سام وشقيقة صديقه تدعى نرجس، ولكن العراقيل تحول دون ارتباطهما، وفيلم «سجادة الريح» للمخرج كمالٍ التبريزي، و«الزوجة» للمخرج مهدي فخيم زاده.

يشار إلى أن السينما الإيرانية استفادت كثيرا من تاريخها الذي تجاوز المائة عام، حيث تمكنت خلال السنوات الماضية من إثبات حضورها في التظاهرات الدولية، وصولا إلى حصول فيلم «طعم الكرز» للمخرج عباس كياروستامي على «السعفة الذهبية» لمهرجان كان السينمائي الدولي عام 1997.

وكانت إيران التي دخلها أول جهاز تصوير سينمائي في العام 1900 على يد الملك مظفر الدين القاجاري الذي أسس أول قاعة لعرض الأفلام السينمائية في إيران في العام نفسه، قد أنتجت في العام 1929 أول شريط سينمائي طويل غير ناطق حمل اسم «أبي ورأي» للمخرج أوانس أوغانياس، ثم أنتجّ بعد ذلك أول فيلم إيراني ناطق كان بعنوان «دخلرل» للمخرج عبد السيح سبنتا.

فيلم «الرسل» يحتل المرتبة الأولى في شباك التذاكر الأميركي

لوس انجلس ـ يو بي أي: شق فيلم «الرسل» طريقه إلى قمة لائحة إيرادات السينما الأميركية هذا الأسبوع وجمع 5.14 مليون دولار أميركي.

وحل فيلم «لأنني قلت ذلك» لدايان كيتون ومانادي مور في المرتبة الثانية وجمع أكثر من 13 مليون دولار.

وذكر موقع مخصص للسينما الامريكية أن «الفيلم الأسطورة» جمع أكثر من 8..22 مليون دولار وحل في المرتبة الثالثة كما استمر فيلم «ليلة في المتحف» لبن ستيللر في نجاحه على الرغم من هبوطه إلى المرتبة الرابعة وجمع 75،6 مليون دولار.

وجاء في المرتبة الخامسة فيلم «الآص المدخنين» لبن أفليك وجمع أكثر من 32،6 مليون دولار.

اوروبا عاشت قرونا من الحيرة حتى حل اللغز عالمان اميركيان:

اسرار السيف الدمشقي

شمس الدين العجلاني*

■ لا يذكر السيف العربي الا ويذكر معه السيف الدمشقي الذي كان وراء العديد من البطولات العربية حين انطلق الفارس العربي فاتحاً لم يعرف التاريخ أرحم منه.. فالسيف لم يكن لدى العربي زينة يتحلى بها في حله وترحاله بل أداة حرب ورمز للعزة ومجالا لاظهار الابداع الفني والبراعة في الصنع، حتى غدا السيف بأقسامه الأربعة النصل والمقبض والغمد والحمائل مجالاً واسعاً للابداع والفن العربي.

والسيف عند العرب اشرف الأسلحة.. له صدارة البيوت وفخر الأنساب يتوارثه الأبناء عن الأحفاد بزهو وكبرياء باعتباره عنوانا للشجاعة ورمزاً للأصالة.. السيف هذا الذي سادت به أمم واندرست فيه أخرى هو جزء من تاريخنا وجزء من تراثنا.

لقد عرف السيف عند العرب كأداة أساسية للدفاع عن النفس والقتال وحمل أسماء كثيرة كالحسام والصمصام والمهند والصارم والفيصل والبتار... وعدد الكندي في رسالته السيوف وأجناسها من أنواع السيوف خمسة وعشرين نوعا تتبع تسميتها لنوع الفولاذ فيها والمكان الذي صنعت فيه كالسيوف اليمانية والقلعية والهندية والخراسانية والبصرية والدمشقية والمصرية والكوفية.

ولقد عنى المسلمون باقتناء السيوف وكان للرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) سيوف مشهورة منها المسعور (أو مأثور) الذي ورثه عن والده والقضيب والبتار والحتف والمخزم والرسوب والعبد والقلعي.. وفي فصل عنوانه «ذكر سلاحه وأثاثه صلى الله عليه وسلم» في كتابه: «زاد المعاد في هدي خير العباد» قال الإمام ابن قيم الجوزية:

كان له تسعة أسياف: «مأثور» وهو أول سيف ملكه وورثه من أبيه، و«العضب»، و«ذو الفقار» بكسر الفاء وبفتح القاف، وكان لا يكاد يفارقه وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة. و«القلعي»، و«البتار»، و«الحتف»، و«الرسوب»، و«المخذم»، و«القضيب»، وكان نعل سيفه فضة وما بين ذلك حلق فضة.

والسيوف كانت مادة رئيسية لتغني للشعراء فيقول أبو تمام:

السيف اصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

أما عنترة فيتغزل بحبيبته ويشبهها للسيف:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

في حين يقول ابن المعتز:

تري فوق متينه الفرند كأنه
بقية غيم رقّ دون سماء

أو قول أبو الهول الحميري:

وكأن الفرند والجوهر الجا..
ري علي صفحتيه ماء معين

ويمكن القول ان العرب قبل الاسلام وبعده يعدون السيف اشرف الأسلحة ويحرصون على أنسابه وصيانته وتوريثه لأبنائهم ويعدون من يفرط به لا يستحق الاحترام..

السيوف الشامية

يقول المؤرخون العرب عن السيوف الشامية انها اشتهرت في بصرى عاصمة الغساسنة واستمرت رائجة بعد الاسلام .. ويقول الكندي في وصفها: (أنها ذات شفرات حسنة مختلفة القدود من عراض ودقاق وقصار وطوال لم يطبعها احد من صناع بصرى الا سليمان طبعها عام 95م وقطع العمل سنة 109 هـ وتذهّب عقد فرمذها بعد الطرح ويختفي جوهرها وكانت تحمل الى اقليم الجبال بايران).

كما يتحدث الكندي عن السيوف الدمشقية فيقول: (عرفت تلك بجودتها منذ القدم وامتازت نصالها بقطعها الجيد اذا كانت على سقايتها الأصلية والسيوف الدمشقية اقطع جميع السيوف المولدة وتتراوح اثمانها خمسة عشر درهما الى عشرين).

صورة نادرة لصانع السيوف في دمشق تعود لعام 1867 (القدس العربي)

ويذكر في رسالته أيضا نوعا يسمى سيوف «الشراة» التي تقع جنوبي بلاد الشام في «البلقاء» اي في «الاردن» وهي سيوف نصولها من الحديد الانيث «الزماهن» رقيقة طويلة.

كما انه اشتهرت سيوف شامية أخرى منها السيوف (الاريحية) التي تنسب الى اريح والسيوف (الديافية) نسبة الى دياف في جنوبي البتراء.

سيوف في ذاكرة التاريخ:

وكان لبعض السيوف في التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده مكانة منحتها شهرة مدوية وانتقلت أوصافها بدقة، ومن هذه السيوف التي اشتهرت في الجاهلية «صمصامة» وهو لعمرو بن معدي كرب الزبيدي وضرب به المثل في كرم الجوهر وحسن المخبر والمضاء ، وقد أهداه عمرو بن معدي كرب بعد اسلامه الى خالد بن العاص عامل الرسول صلى الله عليه وسلم على اليمن ومن ثم توارثته أسرته حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمبلغ كبير، ولم يزل عند بني مروان حتى زالت الدولة الأموية فبحث عنه الخلفاء العباسيون السفاح والمنصور والمهدي، ولم يجدوه ،ومن ثم وجده الخليفة الهادي فاشتراه.. كما يحتفظ متحف طوب كابي سراي في استانبول بنماذج من أشهر السيوف العربية منها سيف معاوية بن ابي سفيان، وسيف عمر بن عبد العزيز وسيف عليه نقوش للسلطان قايتباي..

وللسيف المسمى «ذو الفقار» شهرة مدوية في التاريخ الاسلامي وقد سمي بهذا الاسم لأنه مصنوع على شكل الفقرات التي في ظهر الانسان، وعدد فقرات هذا السيف ثماني عشرة فقرة. وقد وصفه الأصمعي فقال: «رأيت الرشيد بطوف متقلدا سيفا فقال: يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار؟ قلت: بلى جعلني الله فداءك. فقال: استل سيفي هذا فاستللته فرأيت فيه ثماني عشرة فقرة) وكان ذو الفقار لأحد مشركي قريش واسمه منبه ابن الحجاج وقد قتله علي ابن أبي طالب وأخذ منه السيف، وعندما رآه الرسول (ص) في الغنائم أعجب به، ومن ثم أهداه لعلي ابن أبي طالب، الذي ابلى به بلاء حسنا واشتهر به حتى قيل: (لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار). وقد بقي ذو الفقار مع علي حتى استشهد فتوارثه أبناؤه وأحفاده من بعده الى أن قام أحدهم واسمه محمد بن عبد الله ليحارب جيش أبي جعفر المنصور وجرح في المعركة . فلما أحس دنو أجله أعطى السيف لتاجر كان له دين عليه مقداره أربعمئة درهم وقال له: «خذ هذا السيف فانك لا تلقى أحدا من آل أبي طالب الا أخذه منك وأعطاك حقك»، فاحتفظ به التاجر لنفسه لكن حفيدا آخر من أحفاد علي ابن أبي طالب اسمه جعفر بن سليمان سمع به فاشتراه منه بعد جهد شديد. ولما استخلف المهدي سمع بالسيف فأخذه من جعفر حياء ، ثم انتقل من المهدي للهادي ثم هارون الرشيد حيث رآه معه الأصمعي...

السيف الدمشقي

شكّل السيف الدمشقي عبر القرون الماضية لغزاً مستعصياً على الحل في الصناعة الحربية، اذ رويت عنه الأساطير ونسجوا حول صناعته القصص والحكايات وقيل أن الشعرة كانت تنشطر الي نصفين لدي سقوطها على نصله، وأنه كان الأساس في انتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في المعارك التي خاضها ضدهم، وأن القادة الأوروبيين كانوا يرسلون التجار الى دمشق لشراء تلك السيوف المميزة وبأغلى الأثمان للتباهي بها، واستخدامها في المبارزات وفي المعارك الهامة.

وروى أن الاسكندر الأكبر ما كان ليقطع عقدة «غورديان» لو لم يمتلك سيفاً دمشقياً، ورغم محاولة الحرفيين الغربيين تقليده عبر العصور فان صناعته ظلت لغزاً...

ومن أشهر هذه الأساطير التي رويت تقول: ان السيوف الدمشقية ورثها الدمشقيون عن الاله حدد اله الصاعقة فكان صناع السلاح الدمشقيون ينتظرون أن يشق البرق رحم الأرض ويزرع فيها شيئا من وميضه محدثا فيها عروقاً معدنية كبيرة... ثم يأخذوها... يعجنونها... ويلقونها بالنار.. يطرقوها... يضعوها في خليط الماء والزيت ليصنعوا منها تلك السيوف السحرية التي طافت العالم لتبني الحضارة العربية المجيدة، وترد الأذى والطغيان عند أبواب دمشق الثمانية.

امتازت السيوف الدمشقية عن غيرها بظاهرة فنية عرفت باسم «جوهر السيف» أو «فرندة»، وللجوهر أسماء منها (الدمشقي) و(الشامي)، وله أشكال عديدة تظهر على النصال وتشاهد له تموجات وبقع، ومن أهم خصائص الجوهر الدمشقي أنه يمتاز بأشكال البقعة المحكمة كتموجات رائعة، كما يمتاز باشراق له مائل الى البياض مع عدم قابليته للصدأ كسائر أنواع الجوهر، كما يمتاز بلينه ولدانته وثباته.

سر السيف الدمشقي

احتار العلماء في سر السيف الدمشقي.. فقد حاول الجنرال الروسي انوسوف ان يدمشق السيوف الرسمية في بلاده، وقام بتجارب خلال عدد من السنوات وفي عام 1837م أعلن أنه اكتشف سر الدمشقية ولقد نمت صناعة سيوف مدمشقة في روسيا، واستطاع بياسكوفسكي ان يعرض طرقها وأنواعها وهو يعتقد ان انتاجها ممكن جداً وحاول كثير من الباحثين في القرن الماضي كشف أسرار الدمشقة من أمثال ابريان (Breant) الذي نشر دراسة تحت عنوان (وصف طريقة للحصول بواسطتها على نوع من الفولاذ السيوف الشرقية الدمشقة).

وفي عام 1918 قام بيلانو بأبحاثه فتبين لديه ان صناعة السيوف الدمشقية الجوهر تقوم على مبادئ خاصة. ولكنه لم يتمكن من استكشافها كاملة لأنه لم يطلع على المصادر العربية في هذا المجال.

وبعد اكثر من سبعة قرون من الحيرة والاختبارات الفاشلة، والأساطير والحكايات، نجح عالمان أمريكيان من جامعة ستانفورد في الولايات المتحدة الأمريكية في التوصل الى معرفة سر السيف الدمشقي بعد أن بذلا جهداً مضنياً خلال ما لا يقل عن ست سنوات في المختبرات، فما هي ميزات هذا السيف الدمشقي؟

بدأ العالمان الأمريكيان اختباراتهما بالبحث عن سر المرونة الفائقة في السبائك المعدنية وكيفية تحقيقها في الفولاذ بشكل خاص.

العالم الأول هو أوليغ شيربي الذي يعمل أستاذاً في علم المعادن والهندسة في جامعة ستانفورد، والثاني هو هيفري وادسورث ويعمل في مختبرات شركة «لوكهيد» للصناعة الحربية في بالوالتو.

اتبع وادسورث وشربي أسلوباً حقق لهما الغرض المطلوب في فك هذا اللغز، إذ قاما بتقليب المعدن المسخّن وهو في حرارة 2050 فهرنهايت بصورة مستمرة، وعمدا في تلك الأثناء الى خفض حرارته الى درجة (1200 ف) وحافظا على تلك الحرارة خلال عملية تشكيله. وهذه العملية تشبه كثيراً عملية صنع الخزف الذي يعجن وهو يلف بصورة مستمرة.

ومع أن مركب كربيد الحديد يتشكل في مثل هذه الحالة، الا أنه لا يعطي فرصة الاستقرار في صورته الهشة، اذ أن استمرار اللف يفرض عليه البقاء ضمن الحدود الضيقة التي تسمح له فقط بملء الحبيبات الفارغة، وبذلك تتشكل المصنعات الفولاذية من معدن شديد الليونة وهو في حالة السخونة والصلابة الشديدة بعد تبريده.

وبعد أن عرض هذا الانجاز على جمهرة من العلماء صاح أحدهم: أن هذا الذي صنعه العالمان هو الفولاذ الدمشقي بالتحديد، وبعد مقارنة المعدنين ببعضهما لوحظ تطابق شديد بينهما مع فارق واحد هو أن المعدن الجديد صنع بواسطة الآلات بينما الأول صنع على يد الحداد الدمشقي بالطرق اليدوية..

فريق بحث علمي من جامعة دريسدن للتكنولوجيا بألمانيا، برئاسة بروفيسور الكريستالوغرافيا: بيتر بوفلر، يؤكد حصوله على السر الكامن في صناعة النصل الدمشقي، عبر التدقيق في عينة مأخوذة من سيف دمشقي من صنع المعلم الحداد أسد الله الفارسي في القرن السادس عشر عبر المجهر الالكتروني، فقد استنتجوا وجود نانو ـ أنابيب (أنابيب بأبعاد نانومترية أي من رتبة جزء من المليار من المتر) من الكربون، تعطي هذه الأنصال ميزاتها الفائقة. والجدير بالذكر أن النانو ـ أنابيب لم تكتشف الا عام 1991.

تم اظهار هذه النانو ـ أنابيب على العينات المقدمة من متحف برن بسويسرا، بعد اذابتها بحمض كلور الماء. هذه العملية سمحت أيضاً بعزل نانو ـ ألياف (خيوط دقيقة نانومترية) من السيمانتيت محقونة ومحمية داخل النانو ـ أنابيب.

لصناعة هذه السيوف، يستعمل الحدادون فولاذاً خاصاً مصنوعاً في الهند مسمى ووتز، ويستورد منها بشكل سبائك، يحتوي حديداً، فحماً بنسبة 1,2 الى 1,8 %، القليل من السيليكون والمنغنيز والفوسفور والكبريت. هذه النصال كانت تصنع بعدها عبر سلسلة من عمليات التسخين والطرق، حسب تقنية لا مثيل لها.

يقول فنسنت سيرنيلز، اليروفسور في الفلزات والبتروغرافيا من جامعة فريبورغ بسويسرا: «الكربون يؤثر على درجة صهر الفولاذ وقساوته، ولكنها المرة الأولى حسب علمي، التي نجد فيها نانو ـ أنابيب من الفحم في حديد قديم».

أما ماكس شفورر، بروفيسور الفيزياء في جامعة بوردو بفرنسا والمختص بالمعادن الأثرية فيقول: «انه اكتشاف رائع ومهم جداً!» ولكنه يتأسف كونه أجري على عينة واحدة فقط، ويقول بأهمية توسيع التحليل والبحث الى سيوف ونصال دمشقية أخرى.

على كل حال، فان سيوف دمشق لم تبح بعد بكل ما تحتوي من أسرار، والسبب هو التعقيد الكبير في صناعتها. يقول فنسنت سيرنيلز: فولاذ دمشق صنع خلال ألف عام. انه عائلة متعددة الأفراد أكثر منه منتج موحد.. وتبقى السيوف الدمشقية سرا من أسرار دمشق..

* كاتب من سورية
alajlani@scs-net.org

فضائيات

بيريس متعاطف مع القضية الفلسطينية ودعوة للتبرع ببدلة رياضية لكاسترو!

توفيق رباحي*

■ لا اعتقد ان القناة الرابعة بالتلفزيون البريطاني عربية او عراقية او سنية او شيعية او كردية او تركمانية او اشورية او ارمنية، او اي شيء اخر.. ان شكلا او مضمونا.

صحيح انها تسببت في بعض الجدل العرقي والعنصري ببريطانيا قبل اسابيع بسبب برنامج «الاخ الاكبر» والممثلة الهندية شيلبا شيتي، لكن لا اتوقع ان احدا فيكم يشك في ان هذه القناة تعارض «نشر الديمقراطية» على الطريقة الامريكية او ترفض جعل العراق «نموذجا» يحتذى في الشرق الاوسط.

هذه المقدمة ضرورية للحديث عن موضوع حلقة الاثنين الماضي من برنامج «Dispatches» الذي تبثه القناة المذكورة منذ سنوات طويلة. هذه المرة خصصته لما اسمته «فرق الموت بالعراق» كشفت فيه ارتباط ميليشيات القتل في العراق بالحكومة وباشخاص نافذين في الحكم. واشارت بالاصبع الى وزير الداخلية السابق (وزير المالية الحالي) بيان جبر صولاغ وفيلق بدر وضلوع الجميع في جرائم تطهير طائفي لا تختلف عما حدث في البوسنة ورواندا في التسعينات اذا لم يوضع له حد فورا.

بحسب البرنامج، ما لم تكن سنيا متطرفا تكره الشيعة وتحرّض على قتلهم، وما لم تكن شيعيا متعصبا تستبيح دم السنة وتحرض على ابادتهم، فأنت بين فكي كماشة، محكوم عليك بالموت وعلى جثتك بالتنكيل والتشويه، وعلى نساء وبنات عائلتك بالاغتصاب.

ما ورد في البرنامج من الاشياء المعلومة التي يحكي عنها الناس والقنوات التلفزيونية بتجرد ولا مبالاة، ويكتب عنها الصحافيون جملا عابرة في مقالات لا تكاد تستوقف احدا. كان ما ورد بالبرنامج، كعادته وعادة هذا النوع من البرامج في القنوات الغربية، ملموسا محددا ومعرّفا في الزمان والمكان: «في اليوم كذا حضر فلان مع علان الى المكان الفلاني وفعلوا كذا وكذا بفلان وفلانة. نحن الان في مكان الواقعة وهذا فلان او فلانة شاهد ما حدث ويروي لنا التفاصيل». ثم يبدأ الشاهد او الناجي من الابادة يروي التفاصيل.

روى شهود عراقيون بحرقة ما شاهدوا او عاشوا (ليس ما رُوِيَ لهم). ولمن سيقول ان شهادة هؤلاء لا يعتد بها لانها غير موضوعية، كان هناك شهود امريكيون عملوا مستشارين امنيين وسياسيين لدى وزارة الداخلية. تحدث كثيرون وتهرب جبر صولاغ الذي سيذكر التاريخ ان في عهده اكتشف العالم انه اقام تحت ارضية مبنى وزارة الداخلية غرف اعدامات اكتشفها وفضح امرها اصدقاؤه الامريكيون.

ليس مهما القول ان البرنامج جيد او سيء. الاهم ان ما ورد فيه خطير ومخيف ويجري بعلم القوات الامريكية. والاهم من كل ذلك انه يجب ان يتوقف والمتسببين فيه، فعلا او تواطؤاً بالقول او الصمت، يجب ان يساءلوا ويحاكموا.

اسوأ ما في الامر، علاوة على انه قتل على الانتماء الطائفي، انه يتعلق بمؤسسات «دولة» تتصرف مثل قطّاع الطرق.

اذا كان لا بد من حسرة (كالعادة) فمصدرها ان الفضائيات العربية لا تنجز مثل هذه التحقيقات لجمهورها، وان توفرت لديها فقد لا تبثها حتى لا تثير احتجاجات الحكومة العراقية على الحكومة مالكة هذه القناة او تلك.

بألوان العلم

■ ظهر الاسبوع الماضي الزعيم الكوبي فيديل كاسترو من جديد بعد اربعة اشهر من الغياب والمضاربات حول صحته ومصيره. عاد ببدلة رياضية حمراء وبيضاء (الوان العلم الكوبي) طبق الاصل للتي ظهر بها في تشرين الاول (اكتوبر) الماضي.

واحد من عدة احتمالات: لا بد من تدقيق جاد ليكتشف المهتم انها لم تكن نفس البدلة ويعفي نفسه عناء «تساؤلات المؤامرة» التي تعوّد عليها الناس في بلداننا بسبب التعتيم الاعلامي والقهر السياسي المتراكمين.

ببساطة شديدة، كان متاحا لاي كان، خصوصا ان الصور كانت منتقاة وسريعة، ان يستنتج انه شريط واحد قديم وقرر كاسترو او من يوجهه ان يبثوا للناس الجزء الاول في تشرين الاول (اكتوبر) والجزء الثاني الان. او ان الشريط جديد فعلا، وكل ما في الامر ان كاسترو لا يملك الا تلك البدلة الرياضية. وهنا اقترح على الميسورين منكم مساعدته على اقتناء بدلات رياضية اخرى ما دام عاشقا لها. او ان الشريط جديد فعلا وكاسترو يملك اكثر من بدلة واحدة نفس الماركة والالوان، والذين يرعون ويديرون شؤونه لم ينتبهوا الى ان الامر قد يلتبس على الناس فتأتي الصور بعكس الهدف السياسي والاعلامي المطلوب.

في حديث متبادل عن الموضوع، نبهني اصدقاء الى ان اسامة بن لادن وأيمن الظاهري اذكى من مستشاري حاكم كوبا. فقائدا «القاعدة» يعرفان ان الاسئلة تحوم حول مصيرهما (مثل كاسترو) فيحرصان على ان يتأكد الناس انهما على قيد الحياة وان الشريط الذين يشاهدون حديث العهد، مرة بالكلام عن واقعة حدثت قبل ايام، ومرة باخراج وصور تبعث للناس الرسالة نفسها فلا يبقى للشك مكان.

نعمة الرعاية

■ منح قضاة فرنسيون «امير» غناء «الراي» الجزائري، الشاب مامي، افراجا مؤقتا في انتظار محاكمته بتهمة اغتصاب وتعنيف امرأة فرنسية.

لا اذكر ان التلفزيون الجزائري، وهو جزء من السلطة، اهتم بمصير او اخبار الشاب مامي منذ سُجن في هذه القضية قبل اربعة اشهر. ولا اذكر انه بث له اغنية واحدة منذ نزلت عليه هذه المصيبة. لكن هذا التلفزيون استغل الافراج المؤقت استغلالا غير بريء: لم يصوّر مامي خارجا من السجن، ولم يصوّره في بيته، ولا في مكان اخر. صوّره (صور صامتة تشبه صور استقبالات الرؤساء العرب لضيوفهم وهم يبحثون «القضايا ذات الاهتمام المشترك») ينزل ضيفا مرتبكا على القنصل الجزائري بباريس، ويُدفع دفعا ليشكر سلطات بلاده على الرعاية والاهتمام، لكنه على غير العادة، لم يخص بالذكر رئيس الجمهورية، ربما حتى لا يرتبط اسم الرئيس بسجين متهم في قضية اخلاقية، او في انتظار حكم البراءة ليكون الثناء والشكر فعلا في محلهما وتقام مراسم رسمية.

واخير منح الميكروفون للقنصل عبد الرحمن الشريف مزيان (وزير داخلية سابق) ليذكر الجزائريين بان بلادهم ورئيسهم حريصون على رعايتهم والاهتمام بهم في كل مكان.

ليس لدي سبب للشك في صدق كلام القنصل، لكن اذا كانت نعمة الرعاية موجودة حقا كما صوّرها، ليته يتذكر ان هناك جزائريين منسيين في غوانتانامو منذ اربع وخمس سنوات بدون محاكمة وبدون كرامة وبدون انسانية، ينتظرون ان تمتد لهم وتشملهم نعمة الرعاية.

هل تابت «العربية»؟

■ زار الثعلب الاسرائيلي شمعون بيريس الدوحة ولم تقم قناة «العربية» والاعلام السعودي ككل عرسا بالطبل، كما جرت العادة، خصوصا عند زيارة وزير من الصف الثاني قبل سنتين الدوحة بدعوة من «دوحة فونديشن» التي ترأسها الشيخة موزة زوجة امير قطر.

هل تابت «العربية» عن ترصد اخبار من هذا النوع في قطر، ام تعلمت الاخيرة من خطئها السابق (زيارة وزير تربية اسرائيلي قبل سنتين) وجاهرت بزيارة بيريس حتى لا تترك للاعلام السعودي فرصة الانقضاض على الخبر؟

ايا كان الجواب، يبدو اننا ارتحنا من تلك اللعبة الظريفة: «العربية» تبحث بالمنظار عن اخبار قطر، و«الجزيرة» تستعمل كل الاسلحة في اصطيادها اخبار السعودية.

حضر بيريس الى نقاش «Doha Debate» الذي يديره الصحافي البريطاني تيم سيبباستين (نقلته «بي بي سي وورلد» سهرة السبت)، فبدا محبا للفلسطينيين اكثر مني. لم اسمع في حياتي بيريس يتكلم بتلك اللغة الجميلة غير العدوانية.

ولاعطيكم فكرة اقول انه طيلة الساعة من النقاش لم يستعمل لو مرة كلمة «ارهاب» (وكل ما يشتق عنها).

ليقل هو ما يشاء حيثما شاء. المهم هل نصدّقه؟ انا شخصيا لا.

* كاتب من اسرة «القدس العربي»
toufik@alquds.co.uk

وارضيات